سورة آل عمران

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} سورة آل عمران175﴾

شرح الكلمات:

الشيطان: أي شيطان الجن.

يخوف أولياءه: أي يخوفكم بأوليائه ويعظمهم في صدوركم.

فلا تخافوهم: لا تخشوا أولياء الشياطين.

وخافون: أي أخلصوا الخوف لي.

الشرح الإجمالي:

لما كان الخوف من الأسباب التي قد تثبط المسلمين عن مناصرة الحق ورفع رايته، أخبر الله سبحانه أن ما قد يقع في نفوس المسلمين من الخوف، إنما هو من أوهام الشيطان وأتباعه، وذلك بما يبثونه من الأراجيف بمختلف الطرق والوسائل، ثم يأمر الله المسلمين بأن لا يلتفتوا إلى تأثيرات هؤلاء المخذلين، إنما عليهم أن يخلصوا الخوف لله إن كانوا صادقين في إيمانهم حقا، ويقدموا خوف الله على خوف من سواه. والخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها ، وقد ذكره الله في كتابه عن سادات المقربين والأولياء والصالحين .

قال تعالى : يخافون ربهم من فوقهم .

وقال تعالى : وهم من خشيته مشفقون .

وقال تعالى : إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون .

وقال تعالى : والذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله .

وأمر بإخلاصه ، فقال تعالى : وأياي فارهبون .

وقال تعالى : فلا تخشوا الناس واخشون .

وعن أبي هريره (قال : سمعت رسول الله (يقول : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... . فذكر منهم . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال إني أخاف الله ...) . متفق عليه

والخوف أربعة أنواع:

النوع الأول: خوف السر وهو الخوف الذي يكون معه عبادة لغير الله أو ترك لما أوجب الله. ومعناه: أن يخاف الإنسان من غير الله من الأصنام والأوثان وما عُبد من دون الله، من القبور والأضرحة، أو يخاف الشياطين والجن، ويتقرّب إليهم بما يحبون من الشرك بالله من أجل أن يسلَم من شرهم، فهذا شركٌ أكبر يُخرج من الملّة، والله سبحانه وتعالى ذكر عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال: {وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً}، ثمّ قال بعد ذلك: {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً} كأنهم توعّدوه بآلهتهم ومعبوداتهم أن تصيبه. فهذا ردٌّ عليهم، كيف لا تخافون من الله وأنتم تهدّدونني بأن أخاف من معبوداتكم التي لا تُغني عني شيئاً، {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} هل هو أنا الذي أعبد الله وحده لا شريك له، أو أنتم الذين أشركتم؟. فهذا النوع من الخوف يسمّى: خوف السر، وهو خوف العبادة، بأن يخاف من المعبودات التي تُعبد من دون الله عزّ وجلّ، والآن عُباد القبور يهددون النّاس بهذه الأضرحة، ويقولون: الولي الفلاني يصيب من لم يخضع له ويعبده، يصيبه في نفسه أو في ولده، ثمّ الجهال ينخدعون بهذا التخويف، ويتقرّبون إلى هذه القبور وهذه الأضرحة بما يُطلب منهم، وغرض عُبّاد القبور والسَّدَنة: أكل أموال النّاس بالباطل، يهدِّدون النّاس إذا لم ينذروا لهذه القبور ولم يقرّبوا لها شيئاً من الأموال، فأنها تصيبهم، أو تصيب زروعهم، أو تُصيب حروثهم، أو أولادهم، ثمّ الجهال يتقرّبون إلى هذه الأضرحة بأموالهم، ثمّ يأخذها هؤلاء السدنة وهؤلاء القائمون على هذه الأوثان ويقتسمون هذه الأموال فالشر باقٍ من قديم الزمان إلى آخر الزمان، وطريقة المشركين واحدة.

وأما أهل الإيمان فإنهم لا يخافون إلاّ الله تعالى، لأنه هو الذي يملك النفع والضر، وهو الذي بيده الأمور، وأنه لا يصيب المؤمن إلاّ ما قدّره الله له {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ(51)}

النوع الثاني من أنواع الخوف المذموم: أن يترك الإنسان ما أوجب الله عليه من الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من النّاس أن يؤذوه أو يضايقوه أو يعذّبوه فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وبيان الحق خوفاً من النّاس، فهذا شركٌ أصغر، وهو محرّمٌ، ونعني بذلك: القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقادر على الدعوة إلى الله، أما الذي لا يقدر –أو ليس عنده استطاعة– فهذا معذور.

النوع الثالث: الخوف الطبيعي، الذي ليس معه عبادة للمخوف ولا ترك لواجب. كأن يخاف الإنسان من العدو، أو من السَّبُع، أو من الحيَّة، ويخاف الإنسان من أعدائه، أو يخاف من السّباع، أو يخاف من الهوام، فهذا الخوف خوفٌ طبيعي لا يُلام عليه الإنسان لأنه ليس عبادة وليس تركاً لواجب، ولا يُؤاخذ عليه الإنسان. وموسى عليه السلام لَمّا تآمر عليه الملأ ليقتلوه وأُنذر أن يخرج من البلد {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(21)}.

النوع الرابع: خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة: وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان .

فالآية دلت على أن الشيطان يجعل أولياءه مخوفين، ويجعل ناساً خائفين منهم، ودلت الآية على أن المؤمن لا يجوز له أن يخاف أولياء الشيطان، ولا يخاف الناس، كما قال تعالى: {فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} [المائدة: 44]، بل يجب عليه أن يخاف الله، فخوف الله أمر به وخوف الشيطان وأوليائه نهى عنه. وبعض الناس يقول: يا رب، إني أخافك وأخاف من لا يخافك، وهذا كلام ساقط لا يجوز، بل على العبد أن يخاف الله وحده، ولا يخاف أحدًا

لا من يخاف الله ولا من لا يخاف الله؛ فإن من لا يخاف الله أخس وأذل أن يخاف؛ فإنه ظالم وهو من أولياء الشيطان، فالخوف منه قد نهى الله عنه،أن ما يسعى إليه شياطين الجن والإنس قديماً وحديثاً، تخويف المؤمنين وتخويف الموحدين وتخويف أهل السنة بين الحين والآخر من أن ينكروا عليهم شركهم وباطلهم وبدعهم وأهواءهم إنما هو من الشيطان ومن كيده.

الفوائد:

1. تحريم ترك الواجب خوفا من الخلق.
2. وجوب إخلاص الخوف لله تعالى.
3. خوف الله من علامات الإيمان.

4– أن الشيطان عدو للإنسان .

5– التحذير من كيد الشيطان .

6– قال الإمام أحمد: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدا؛ فأيهما غلب هلك صاحبه؛ أي: يجعلهما كجناحي الطائر، والجناحان للطائر إذا لم يكونا متساويين سقط.

7– الخوف العدل هو الذي يرد عن محارم الله فقط، وإن زدت على هذا؛ فإنه يوصلك إلى اليأس من روح الله.

8– هناك ما يسمى بالوهم وليس بخوف، مثل أن يرى ظل شجرة تهتز، فيظن أن هذا عدو يتهدده؛ فهذا لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك، بل يطارد هذه الأوهام لأنه لا حقيقة لها، وإذا لم تطاردها؛ فإنها تهلكك.

9– كل من نصر الفحشاء والمنكر؛ فهو من أولياء الشيطان،

10– الأمن إنما يحصل لأهل التوحيد، وأما المشركون فليس لهم أمن، وليس لهم إلاَّ العذاب، هذا حكم من الله سبحانه وتعالى.

11– المؤمن لا يخاف هذه المعبودات أبداً، لا يخاف من الأصنام، لا يخاف من القبور والأضرحة التي تُعبد من دون الله، لا يخاف من الشياطين والجن أن تصيبه إلاَّ بإذن الله سبحانه وتعالى، وكذلك الخوف من كل مخلوق أن يصيبه بما لا يقدر عليه إلاَّ الله

سبحانه وتعالى من الإصابة بالمرض، أو قطع الرزق، أو غير ذلك، وهذا أحد أنواع الشرك الأكبر

12– أن الشيطان يخوف كل من أراد أن يقوم بواجب، فإذا ألقى الشيطان في نفسك الخوف؛ فالواجب عليك أن تعلم أن الإقدام على كلمة الحق ليس هو الذي يدني الأجل، وليس السكوت والجبن هو الذي يبعد الأجل

; فكم من داعية صدع بالحق ومات على فراشه؟! وكم من جبان قتل في بيته؟!وانظر إلى خالد بن الوليد، كان شجاعا مقداما، ومات على فراشه، وما دام الإنسان قائما بأمر الله؛ فليثق بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وحزب الله هم الغالبون.

13– {يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} أي: يخوِّفكم أيها المسلمون بأوليائه من الكفّار.

14– فإن الشيطان يعظم الكفار في صدور المسلمين حتى يخافوهم وحتى يجبنوا عن قتالهم

15– وتأمل هذا الكلام القيّم للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى قال: «فلا تجد مشركاً قط إلا وهو متنقص لله سبحانه، وإن زعم أنه معظم له بذلك، كما أنك لا تجد مبتدعاً إلا وهو متنقص للرسول صلى الله عليه وسلم، وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة فإنه يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب، أو يزعم أنها من السنة» (إغاثة اللهفان . 131).

16– الخوف من الله طريقٌ للأمن في الآخرة وسبب للسعادة في الدارين

17– الخوف من الله دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام وصفاء القلب وطهارة النفس

18– الخوف من الله أصل كل خير في الدنيا والآخرة وكل قلب ليس فيه خوف من الله فهو قلب خرب

والله اعلم ...

صلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

سلسلة تفسير القران العظيم الإصدار رقم (247)

فوائد من تفسير سورة آل عمران الآية 175

تهدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)